**محاضرات إشكالات الفكر2**

**توطئة: مدخل إلى الفكر الحديث والمعاصر**

يبدأ العصر الحديث في الاصطلاح سنة 1500م، وكلمة حديث modern

مشتق من اللاتينية القديمة ويعني التو أو اللحظة، وقد رافق استخدام هذا المصطلح لدى المحدثين إدراك منهم بأنهم يعيشون أسلوب حياة مختلف عن حياة أسلافهم، وأن هذا النمط الحياتي الحديث في العموم أفضل من سابقيهم.

ولكن الفصل الصارم بين العصور ليس فصلا واقعيا بقدر ما هو ضرورة منهجية واصطلاحية وإجرائية، وهو ما ينطبق على التمييز بين العصر الحديث والعصر الوسيط.

ويعد القرن الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر قرونا انتقالية ممهدة لما يسمى في أوربا عصر التنوير.

**المحاضرة الأولى**

**عصر النهضة في إيطاليا وأوربا**

عصر النهضة هي حركة فكرية ثقافية استمرت من [القرن الرابع عشر الميلادي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D9%86_14) إلى [القرن السابع عشر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D9%86_17) تقريبا. بدأت في إيطاليا (في فلورنسا بالذات) ثم انتشرت إلى سائر [أوروبا](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%A7).

ويجمع المؤرخون على أن ما يطلق عليه عصر النهضة بدأ في إيطاليا، وكان من رواد هذه الحركة "بترارك"، ثم تزايد عدد معتنقيها ليشمل خلال القرن الخامس عشر الغالبية العظمى من المثقفين الإيطاليين، ومن أشهر أعلامهم "ليوناردو دافنشي".

وقد عرف عصر النهضة ازدهاراً للغات المحلية التي صار الأدباء يكتبون بها أدبهم، كما شهد عصر النهضة اهتماما بالأدب اللاتيني والمصادر [الكلاسيكية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%83%D9%8A%D8%A9_%D9%82%D8%AF%D9%8A%D9%85%D8%A9) عموما، وقد تطور فن الرسم ذي الطابع الواقعي، وفي مجال العلوم اتجه العلماء إلى الاعتماد على التجربة  و[الملاحظة](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%B5%D8%AF)، فكان ذلك بداية للثورة العلمية بعد ذلك.

 وكان من العوامل التي أسهمت في ظهور عصر النهضة هجرة الباحثين المتخصصين في الدراسات اليونانية بعد [فتح القسطنطينية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%AA%D8%AD_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B3%D8%B7%D9%86%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9) إلى إيطاليا وما جلبوه معهم من نصوص الفلسفة والأدب اليونانيين.

ومن أبرز خصائص عصر النهضة التي أصبحت مثار جدل في الفترات اللاحقة ذلك الاهتمام الكبير بالأدب اليوناني والفكر اليوناني وذلك التوق إلى الماضي، بما يمثل نوعا من التراجع والنكوص الفكري والعقلي.

ومن أهم السمات العامة التي تميز بها عصر النهضة النزعة الإنسانية، بما يفهم منه محاولات إعادة الاعتبار للحضور الإنساني في مسار الفكر والتاريخ والحضارة بعد صودر هذا الحضور من قبل النظام الكنسي الإقطاعي، مما جعل أكثر الدارسين والمؤرخين يستعملون مصطلح المذهب الإنساني في وصف هذا العصر.

وإذا كان الدارسون قبل عصر النهضة يركزون في الاستفادة من النصوص القديمة اليونانية والعربية على النصوص العلمية، فإن رواد عصر النهضة وجهوا اهتمامهم إلى النصوص القديمة ذات الطابع الثقافي، ومن بين هذه النصوص الدينية المسيحية التي كان رجال الكنيسة يحتكرون دراستها وتفسيرها، وكان هذا سببا قويا من أسباب حركة الإصلاح الديني وظهور المذهب البروتستانتي بعد ذلك.

لا سيما أن استخدام اللغة العامية وانتشار الطباعة ساعد على انتشار القراءة بين الناس، قراءة الإنجيل بصفة خاصة.

ومما يجدر ذكره إن الرخاء الاقتصادي الذي عرفته الجمهوريات الإيطالية ابتداء من القرن الرابع عشر وما عرفته من تحول من النمط الاقتصادي القائم على الإقطاع إلى النمط الاقتصادي القائم على التجارة ثم الصناعة أسهم في دفع عجلة تلك التغيرات التي مثلت روح عصر النهضة وفي مقدمتها رعاية المشاريع المعمارية ودعم المواهب الفنية الفردية، وكانت الثروات المتدفقة إلى إيطاليا تسمح بتنفيذ المشاريع الفنية العامة أو الخاصة، وتمكّن الأفراد من تخصيص وقت أكبر للدراسة.كما أن موقع المدن الإيطالية مثل البندقية والمراكز التجارية الكبرى جعلتها في مفترق طرق ثقافي مهم، حيث جلب التجار معهم الأفكار من أصقاع العالم، ومن [المشرق الإسلامي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B4%D8%B1%D9%82_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A) بالتحديد.

يضاف إلى ذلك جو الحرية السياسية النسبية التي كانت سائدة في المدن/ الدويلات الإيطالية، والذي كانت تفتقده أوربا في مجملها، ويذكر هنا ما قامت به عائلة الميديشي  (وهي من العائلات الثرية التي حكمت فلورنسا) من رعاية وتحفيز للفنون والفنانين. وقد اشتهر من هذه العائلة [لورينزو دي ميديشي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%86%D8%B2%D9%88_%D8%AF%D9%8A_%D9%85%D9%8A%D8%AF%D9%8A%D8%B4%D9%8A) (1449-1492) وما أبداه من رعاية واسعة للفنون، والأعمال الفنية الشهيرة.

**ويمكن إيجاز مميزات نتائج عصر النهضة الأوروبية في العناصر الآتية:**

تلاشي الإقطاع وظهور الطبقة المتوسطة

ظهور النزعات القومية التي مهدت لظهور الدول القومية الحديثة

إحياء الدراسات القديمة اللاتينية واليونانية

ترسيم اللغات المحلية والقومية.

بداية الثورة العلمية والمنهج التجريبي

ظهور حركة الإصلاح الديني .

**ظهور النزعة الإنسانية**

شكل [المذهب الإنساني](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%87%D8%B6%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9)  نزعة لدى رواد عصر النهضة تمثلت في تجديد أسلوب التعلم، حيث التركيز على دراسة النصوص القديمة من أصولها، والاهتمام بدراسة خمسة علوم إنسانية هي الشعر، والنحو، والتاريخ، والفلسفة الأخلاقية، وفن الخطابة.*..وقد*  أكد الإنسانيون في أثناء ذلك على العبقرية الفردية لدى الإنسان، و*قدرة العقل البشري الفريدة والاستثنائية*.

لقد ساعد كل من إعادة اكتشاف النصوص القديمة واختراع الطباعة على نشر العلم وتوالد الأفكار. في الفترة الأولى من النهضة الإيطالية، فضل الإنسانيون الدراسات الإنسانية على الفلسفة الطبيعية وتطبيقات الرياضيات. وقد عزز تبجيلهم للمصادر الكلاسيكية رؤاهم الأرسطية والأفلاطونية للكون.

هناك اتفاق عام على أن عصر النهضة أحدث تغييرات هامة في طريقة النظر للكون والمناهج التي تستخدم في تفسير الظواهر الطبيعية.

أحد أهم التطورات لم تكن اكتشافا علميا محددا، بقدر ما كانت تطورا في عملية الاكتشاف، أي [المنهج العلمي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A). القائم على المبدأ التجريبي، وأهمية الرياضيات، بالإضافة إلى تجاوز العلم الأرسطي. كان من رواد هذه الأفكار المؤثرين [كوبرنيكوس](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%B3_%D9%83%D9%88%D8%A8%D8%B1%D9%86%D9%8A%D9%83%D9%88%D8%B3) [وجاليليو](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%BA%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%84%D9%8A%D9%88_%D8%BA%D8%A7%D9%84%D9%8A%D9%84%D9%8A) [وفرانسيس بيكون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%B3_%D8%A8%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%86) .وقد أدى المنهج العلمي الجديد إلى إنجازات عظيمة في مجالات الفلك والفيزياء والأحياء والتشريح.

ومع أن أكثر زعماء حركة النهضة كانوا معارضين للنظام الكنسي والسلطات الواسعة التي يتمتع بها الرهبان والقساوسة الفاسدون، فإن كثيرا منهم كان مضطرا إلى مسالمة الكنيسة ورجالها في الظاهر، خوفا من بطشهم وجبروتهم. ولأن الرأي العام آنذاك لم يكن مستعدّا للثورة على هذا النظام الكنسي البابوي بعد قرون من الهيمنة الروحية والسياسية وحتى الاقتصادية.

ولكن عصر النهضة والنزعة الإنسانية التي سادت خلاله كان لهما أثر مباشر في ظهور [الإصلاح البروتستانتي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B5%D9%84%D8%A7%D8%AD_%D8%A8%D8%B1%D9%88%D8%AA%D8%B3%D8%AA%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%8A)،

فمصطلح النهضة يرتبط في الحقيقة بالإصلاح الديني في أوربا من حيث الإسهام والهدف، ففي حين ركز الإصلاح الديني على الحرية الدينية ركز رواد النهضة على الحرية الفنية. وكان من نتائج هاتين الحركتين ما أصبح يطلق عليه في القرن التاسع عشر الديمقراطية. أي تحرير الناس من القيود التي كانت مفروضة عليهم من قبل الكنيسة ورجال الدين ورجال الإقطاع والملوك المستبدين.

وقد انتشرت أفكار عصر النهضة في القرن الخامس عشر بسرعة كبيرة من مكان نشأتها في فلورنسا، حيث انتشرت أولا في بقية إيطاليا ثم في بقية أوروبا الشمالية والبرتغال وإسبانيا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا والمجر وبولندا وروسيا

ومن المفارقات التي ينبغي أن يشار إليها في هذا الصدد أن بعض الظواهر التي عرفها عصر النهضة كانت تكرس مسايرة للتسلط والاستبداد، وذلك كمناصرة بعض الطغاة المستبدين واعتبارهم شخصيات مهمة، وتكريس نوع من التبعية بل العبودية لأعلام اليونان كأفلاطون وشيشرون. كما أن الحركة الإنسانية التي ارتبطت بعصر النهضة لا تعني الدفاع عن الناس بصفة متساوية كما هو مقرر في التقليد الديمقراطي، بل الدفاع عن الصفوة منهم ممن يمتلكون الثقافة ويتذوقون الفن ويناقشون المسائل الفلسفية.

وقد انتقل هذا المبدأ إلى التقليد الديمقراطي، وهو أن فرص العمل والنجاح والتقدم مفتوح لذوي الموهبة والابتكار والجرأة. ومعنى هذا أن عصر النهضة والإصلاح الديني لم يقودا إلى عصر الديمقراطية بوعي تام وتبصر واضح وفق خط مستقيم، ولكن هناك تعرجات والتواءات لعلها من طبيعة التاريخ وأحداثه وطبيعة الوعي الإنساني الذي يتسم بالقصور والتدرج والتجريب أكثر مما يتسم بالنضج المبدئي والوضوح النظري.

وعلى العموم كان لعصر النهضة آثار تظهر في الرسم والنحت والشعر والعمارة، كما أنه هيأ المجتمع الأوربي للتحرر من سلطان الكنيسة، وأعاد إحياء الثقافة اليونانية، وارتبط هذا العصر بأمرين اثنين هما الفوضى وعدم الاستقرار السياسي من جهة ، والنزعة الفردية والإنجازات الفنية الباهرة ، وهما خصيصتان متلازمتان كما لاحظ المؤرخون.

ومع أن إنجازات عصر النهضة في الفلسفة لم تكن كبيرة، فإنه مهد للحركة التي ستسود خلال القرن السابع عشر، فقد شجع على دراسة فلسفة أفلاطون بدل فلسفة أرسطو التي ارتبطت بالأسلوب المدرسي الجامد، وشجع على التفكير العقلي المتحرر.